# أخلاق العناية بين آكسل هونيث وفيرجينيا هيلد

# The ethic of care betweenAxel Honneth and Virginia Held

# L'éthique du soin entre Axel Honneth et Virginia Held

طرابلسي عمار[1] * بعارة أمال[2]

تاريخ الإرسال: 2022/06/17 تاريخ القبول: 2022/12/28 تاريخ النشر: 2023/12/15

**ملخص:**

تعد هذه الدراسة إسهاما في قراءة وتقديم الأبحاث الأخلاقية المعاصرة، وذلك لما أظهرته هذه المحاولات من قيم تجديدية، على سبيل إيجاد المخارج المناسبة، للمأزق الأخلاقي الغربي بعد ما عرفه من فلسفات أوصلتها لحد الصدام، والعلامة الفارقة التي تبدو واضحة على المفكرين اللذين تناولتهما الدراسة "آكسل هونيث" و"فيرجينيا هيلد" هي رغبتهما الملحة في إعادة الاعتبار لقيمة الإنسان كجوهر للوجود، ومعالجة القضايا الأخلاقية بنبرة واقعية على مستوى مفاهيم العدالة والحق والعناية، وهي كلها مقاربات لحفظ الوجود الإنساني وإزالة تلك المركزيات والصراعات التي طالته لأزمنة طويلة. ونقد من خلال هذه الدراسة الكشف عن نموذجين مختلفين في فلسفة الأخلاق المعاصرة واكتشاف الحقل الذي يلتقيان فيه لرصد متغيرات مفاهيمية جديدة، إضافة لتشخيص مخصوصية كل فلسفة من النموذجين محل الدراسة.

**الكلمات المفتاحية:** أخلاق العناية؛ التضامن؛ الحق؛ العدالة؛ هونيث؛ هيلد.

**Abstract**

This study is a contribution to the reading and presentation of contemporary ethical research, because of the innovative values shown by these attempts, in order to find the appropriate exits, to the Western moral impasse after the philosophies it has brought to the point of confrontation, and the distinguishing sign that seems clear to the thinkers addressed in the study "Axel Honneth" and "Virginia Held" is their urgent desire to reconsider human value as the essence of existence, and to address ethical issues in a realistic tone at the level of concepts of justice, truth and care, all approaches to preserving existence. Humanity and the removal of those centralities and conflicts that have plagued it for a long time. Through this study, we criticize the detection of two different models in the philosophy of contemporary ethics and the discovery of the field in which they meet to monitor new conceptual variables, as well as to diagnose the specificity of each of the two models in question.

**Keywords**: Ethic of Care; The Solidarity; The Right; The Justice; Honneth; Held.

**Résumé :**

Cette étude est une contribution à la lecture et à la présentation de la recherche éthique contemporaine, en raison des valeurs novatrices montrées par ces tentatives, afin de trouver les sorties appropriées, à l'impasse morale occidentale après les philosophies qu'elle a amenées au point de confrontation, et le signe distinctif qui semble clair pour les penseurs adressés dans l'étude

*المؤلف المراسل

[1]Ammar Trabelsi, Univesity of m'sila / ammar.saddeck@gmail.com
[2]Amel Baara University of Oran 2 / baaraamel@yahoo.fr

« Axel Honneth » et « Virginia Held » est leur désir urgent de reconsidérer la valeur humaine comme l'essence de l'existence, et d'aborder les questions éthiques sur un ton réaliste au niveau des concepts de justice, de vérité et de soin, toutes les approches pour préserver l'existence. l'humanité et la suppression de ces centralités et conflits qui l'ont tourmentée pendant longtemps. A travers cette étude, nous critiquons la détection de deux modèles différents dans la philosophie de l'éthique contemporaine et la découverte du domaine dans lequel ils se rencontrent pour surveiller de nouvelles variables conceptuelles, ainsi que pour diagnostiquer la spécificité de chacun des deux modèles en question. résumé doit inclure l'objectif de l'article, la méthodologie utilisée et les résultats les plus importants.
**Mots clés** : Éthique du Soin; Solidarité; le Droit; La Justice; Honneth; Held.

**مقدمة:**

عرفت فلسفة الأخلاق المعاصرة منعرجا حاسما إثر بزوغ الأثر الفلسفي الحديث واستملاكه لمآلات التدافع التي عمل عليها الواقعيون ممن حملوا هذه الفلسفات والنظريات وأعلوا مركزيتها ونفوا كل ما خالفها دون الاعتبار للقيم الإنسانية المشتركة التي أهينت على المستوى السياسي والحقوقي. وداخل هذه المسارات الكبرى انفكت عنها رؤى نقدية جديدة تبحث عن إعادة استوصاف مخارج أخلاقية تحفظ قيمة الإنسان وتكسيه صبغة الجوهر الوجودي، واستعادة الاستشكال حول الأخلاق بالمنظور المعاصر استهدف في أساسه قيمة الإنسان داخل الوجود وامتداد علاقاته في الفضاءات العامّة والخاصّة، ما هيأ لظهور تيارات أخلاقية معاصرة تلغي تلك الحقبة العدمية الصدامية وتؤسس لفعل أخلاقي تبادلي وتغايري مشترك. حيث يحيلنا البحث الأخلاقي المعاصر على استكشاف رؤى جديدة تدعو لمجتمع موحد يستجمع كل عناصره وأفراده دون اعتبارات مسبقة سواء تعلقت بالكينونة أو الهوية، وعلى سبيل تتبع هذه المسارات الجديدة نجد في مطلعها أعمال آكسل هونيث تتمة للرؤى النقدية التي عكفت عليها مدرسة فرانكفورت منذ جيلها الأول من حيث تفعيل آلية الحق، وغير بعيد عن ذلك أعمال فيرجينيا هيلد التي ناقشت مسألة العلاقة بين الأخلاق والعدالة في شكلها الجديد وجوب افتتاح المشروع النقدي للمجتمع المعاصر. ولئن كانت هذه الإشكاليات النقدية تشغل حيزا واسعا على مستوى الحقل الفلسفي المعاصر، فإن السؤال يتوجه لكيف تم تحويل السؤال الأخلاقي من المستوى العقلي النظري أو العدمي الصدامي إلى مستوى أخلاق تعتني بالآخر وتؤسس لقيم الغير؟ على ماذا يتركز المشروعين الفلسفيين لآكسل هونيث وفيرجينيا هيلد؟ وما الدافع لإعادة بناء رؤية نظرية أخلاقية؟ وفيم تتجلى صور الارتباط والاختلاف داخل الفلسفتين؟ وهل يبدو أنها فلسفات كافية لترشيد الإنسان والمجتمع أخلاقيا؟

**أولا: اتيقا التضامن الاجتماعي والاعتناء بالآخر مقاربة أكسل هونيث.**

أسهمت الأبحاث الأخلاقية المعاصرة بشكل واسع في محاصرة الرغبة الليبرالية المتعالية والجشعة –إلى حد ما–، من خلال مخاطبة الإنسان وبعث روح المسؤولية الاجتماعية فيه، وفي هذا السياق عكفت مدرسة فرانكفورت النقدية على تطوير أداء الأخلاقيات الاجتماعية التطبيقية، فلم تعد تؤسس لخطاب أخلاقي عام، بل تعدى ذلك إلى نقد وتأسيس الخطاب الأخلاقي الواقعي الذي يؤطر الحالة الإنسانية وفق العيش المشترك والتكافل والاعتناء بالآخر، بغض النظر عن انتماءاته الأيديولوجية وأصوله البيولوجية.

ويكون أكسل هونيث أحد أبرز الأعلام المعاصرة التي ساهمت في بعث الخطاب الأخلاقي المتوازن من خلال أعماله المتعلقة بـ "الإعتراف" كممارسة اجتماعية وأخلاقية، وقد أسس في جوهر هذا المنظور لمسألة التضامن بأبعاده المختلفة، متمثلا بشكل أساسي في شعور المرء بالتقدير داخل نسيج الذوات والعلاقات الاجتماعية، بما أن الإنسان متأثر دائما بمواقف الآخرين اتجاهه، وفي هذه المداخلة سنحاول التعريج على منظور هونيث في تركيزه على التضامن الاجتماعي والرعاية التكافلية وبناء الفضاء الإنساني المشترك.

**1. نحو بناء أطر التضامن الاجتماعي.**

عكف هونيث على بناء فلسفة جديدة للاعتراف، حيث جعل أحد أهم ركائزها "مفهوم التضامن" الذي يتيح للأفراد تحقيق الذات الأخلاقية المشتركة من خلال التفاعل والتكافل الاجتماعي "غير أن هذا التضامن قد أصبح في المجتمعات الحديثة متوقفا –داخل نسيج شبكة العلاقات الاجتماعية– على وجود علاقات التقدير المتماثل بين الذوات التي حققت استقلالها الذاتي، غير أنّ شعور المرء بالتقدير وبقيمة ذاته أمر يتوقف على الآخرين أو تقدير الغير"(بومنير، 2015، صفحة 59)، فعند حصول التقدير للإنسان يُحسن هذا في صورة أدائه الاجتماعي ويجعله بصفة أخرى يساهم في التفاعل ضمن عملية التضامن مع الآخرين، فالفرد متعلق أخلاقيا بمدى مواقف الذوات الأخرى اتجاهه وهي من تصنع فيه الدافع الأخلاقي لرعاية الآخرين على مستويات مختلفة من الأداء التكافلي.

والحال أن الفرد كلما استنشق الأخلاقيات المحيطة به، كلما زاد تأثيرها عليه وقد يحدث العكس عند تلقيه المشاعر السلبية من المجتمع المحيط به، لذا فالتضامن والتكافل والرعاية هي أشكال أخلاقية يجب على كل الذوات إتقانها والتعامل بها في الفضاءالمشترك، حيث يرى هونيث أن هذه التفاعلات مرتبطة ببعضها البعض "لتحقيق علاقة ناجحة مع الذات، يحتاج الفرد إلى الاعتراف التذاوتي للإمكانات والمؤهلات. أما إذا غاب هذا الشكل من الاعتراف الاجتماعي، فقد يصاب الفرد بالألم النفسي والمشاعر السلبية، مثل الغضب والإحباط وغيرها"(Honneth, 2002, p. 166).

ويردف هونيث في هذا السياق أن التجربة الاجتماعية ليست في حاجة للالتزام فقط بالضوابط القانونية في تفاعلاتها، بل إن توفر العناصر والمؤهلات الإنسانية هي التي تؤسس لمعاني التكافل والرعاية وتبادل التقدير الاجتماعي، بالاستناد دائما إلى القيم المشتركة والجامعة بما هي صفات وخصائص أخلاقية بين الذوات المتعايشة.

فالقيم الاجتماعية حسب هونيث متعلقة مرة أخرى بدرجة الإسهام في تنشئة مجتمع تكافلي متأخلق بروح التضامن، هذا الأخير الذي يأخذ تعريفه بأنه "تلك العلاقة الفاعلية التي تهتم فيها الذوات بالمسار الشخصي للآخرين المشاركين لهم في التفاعل، لأنهم أقاموا معهم روابط التقدير الاجتماعي"(بومنير، 2015، صفحة 61)، والحال أن هذه الروابط التقديرية متعلقة بمؤهلات وإمكانات الآخرين، فبدل الأخذ بالنظرة التراتبية للمجتمع، تصبح العلاقة الأخلاقية تتخذ مسار السلوك الجماعي القائم على التقدير للآخر.

ولا يقصد هونيث هنا بالمؤهلات والإمكانات تلك الشروط المادية والاقتصادية فقط، بل يستدرج البعد الاتيقي لهذه الممكنات، فالعدالة والتضامن والتكافل والرعاية حسبه، أضحت في حاجة لتكوين إطار أخلاقي بين الذوات وتحقيق عيش قائم على التقدير والمساهمة الجادّة مع الآخر،فمن خلال جملة هذه التصورات يتحقق الاعتراف المتبادل بين الذوات (Honneth, reconaissance dictionnaire d'éthique et de la philosophie morale, 1996, p. 1274)

من الواضح أن طرح هونيث على مستوى مسألة النظر في قيمة التقدير، يتجاوز الرؤى القائلة بالعدالة الاقتصادية أو حتّى العدالة الاجتماعية التي أخذت في طيّاتها البعد المادي، كما نجد ذلك عند الخطابات الأخلاقية الأنجلو-سكسونية (جون راولز، نانسي فريزر..)، وقد يتعلق هذا بسياق الطرح الفلسفي في حد ذاته، كون أن أكسل هونيث اتخذ منهج وطريق الفلسفة الأخلاقية الألمانية سواء تعلق ذلك بالمفاهيم النقدية للأخلاق الراهنة، أو تأسيس النظرة الأخلاقية التي تتجه نوعا ما إلى الطرح المثالي المتعالي. فبدل النقاش مثلا حول المفهوم المعاصر للعدالة، اتخذ هونيث سبيل النقاش حول مفهوم الاعتراف، فالعدالة تتخذ صفة النقاش القانوني الحقوقي، بينما الاعتراف يكتسي صفة المناقشة الأخلاقية والقيمية والإنسانية من حيث الشعور بالآخر، واتخاذ البعد الروحي لذلك.

فقد لا يلزم الفرد الشعور بذلك المريض المقعد والاعتناء به من حيث مفاهيم العدالة القانونية والحقوقية، بينما من حيث الاعتراف والتضامن والحب والتكافل والإمكانات التفاعلية بين الذوات، فإن ذلك يجعله مساهما وفق المبدأ الأخلاقي والتقدير الذاتي الذي حصل عليه من المجتمع في عملية الاعتناء بالآخرين، إذن فالتقدير الاجتماعي والتضامن يؤسسان لفرد مساهم في بناء الروح التكافلية مع الآخرين.

وحتّى يصل الفرد إلى هذه المرحلة من التضامن التذاوتي، يقترح هونيث أن يتم الاعتراف به من حيث الرؤية الاجتماعية له، فالمجتمع هو الذي يؤثر على الفرد إما سلبا أو إيجابا على حد سواء "إن مثل ردود الأفعال هذه هي بمثابة أعراض نفسية يمكن يعي الفرد من خلالها أنه محروم بكيفية غير مشروعة من حقه في الاعتراف الاجتماعي. والسبب في ذلك أنّ الاعتراف عامل مقوّم بالنسبة إلى الإنسان. إنّ هذا الأخير، وحتى يصل إلى تحقيق علاقة ناجحة مع ذاته في حاجة إلى الاعتراف التذاوتي لقدراته وإمكاناته وأعماله. لكن حينما لا يحقق هذا الاعتراف على المستوى الاجتماعي يتضرّر من الناحية النفسية حينما يشعر بالإهانة والغضب"(بومنير، 2015، صفحة 67)، إذن وحتّى نصل إلى فرد فاعل داخل المنظومة الاجتماعية فنحتاج دائما لتقدير مجهوداته وأعماله التي يحققها، فهذا هو السبيل الوحيد الذي يجعل منه فردا متأخلقا مع الذوات المشتركة معه في الفضاء العام.

فمن خلال فكرة التضامن التي يطرحها هونيث بشكل جاد وباستلزامها ضمن نظرية الاعتراف، تتحقق الدافعية لـ ما يعرف بـ "أخلاق الرعاية" أو الاهتمام بالآخر، فبينما يوّسع هونيث هذا البحث على كل الصعيد الاجتماعية تصبح الرّعاية الصحيّة على سبيل التخصيص جزءً من عملية التضامن الاجتماعي، بما هي صفّة أخلاقية يكتسبها الفرد عند شعوره بالتقدير من الآخرين.

فالتضامن هو مبدأ مؤسس للرّعاية والاهتمام بالآخر، بما هو صفّة أخلاقية حاول هونيث بعثه في إطار نظرية الاعتراف، وتطويره على مستوى الأداء الشخصي والجماعي، خاصّة بعدما عاشته المجتمعات جراء الحروب والدمار، وما خلفته من صراعات أيديولوجية وإثنية وعرقية، والحال أن تحقيق الفرد المتضامن والنظر به إلى رعاية الآخرين يبدأ من الاعتراف به وعدم إحاطته بالشعور السلبي الذي قد ينعكس على تجربته النفسية الأخلاقية.

**2. مبدأ الحق ودوره في تكريس أخلاق العناية.**

يعتبر الحق واحد من ركائز الفلسفة الاجتماعية التي قدمها أكسل هونيث لتجاوز المحن التي أودت بالمجتمع المعاصر للتصدعات الإثنية والعرقية، وهو الطريق الذي يعيد النظر في بنائية أخلاق المجتمع من حيث الاعتراف بين الذّوات، وهذا المبدأ في نظره يتأسس على مستو الشق القانوني الذي يبحث في حماية الحقوق العامة والخاصة بغض النظر عن الانتماءات والأصول والأعراق والديانات المتعايشة في إطار المجتمع والواحد.

فالحق بالنسبة لهونيث هو المبدأ الأكثر إحقاقا للانسجام الأخلاقي الاجتماعي، وهو الشكل الذي يمكن به تحقيق رؤية عالمية وكونيّة للمنظور الأخلاقي بين كل الأفراد والمجتمعات "فالحق هو الذي يفرض المسؤولية الأخلاقية على كل أفراد المجتمع"(Honneth, La lutte pour la reconnaissance, 2002, p. 166)، أي

أن التقدم في ممارسة مبدأ الحق وانطلائه على الرؤية الأخلاقية للمجتمع، يحقق استقرارا عاما على الأصعدة السياسية والمدنية.

ويشير هونيث إلى أن أفراد المجتمع ملزمين بفهم قواعد السيّر الأخلاقي له، من حيث أنهم ملزمون دائما بمجموعة الواجبات التي ينبغي أن يدركوها، وهكذا فإن العملية ستغدو تبادلية بين جميع الأفراد إذ يلتزم كل بما له من حقوق وواجبات تجاه الآخر والمجتمع عموما، "وتجدر الإشارة إلى أنه لا يمكن أن نعتبر أفراد المجتمع كحاملي حقوق ما، إلا إذا كان هؤلاء الأفراد يدركون، في الوقت نفسه، أنّ عليهم التزامات معيارية تجاه الآخرين"(بومنير، 2015، صفحة 56)، إذ ينبغي الاعتماد على ربط المنظور النظري بالواقعي لتحقيق الاكتفاء الاجتماعي بالرؤية الأخلاقية، كمقتضى لتحقيق العناية المتبادلة بين كل عناصر وأفراد المجتمع على مختلف خلفياتهم الذاتية.

والحال أن هونيث يخالف المنظور السابق للأخلاق الوضعانية التي كانت تورد الحقوق على حسب الانتماء لجماعة ما –ذات طابع الخصوصية–، فهو يبحث عن تحقيق الغاية الكونية من الأخلاق إثر التفاعل بين الذوات في إطار أخلاقي موحد يبدأ من الاعتراف وينتهي إلى أخلاق كليّة تعتني بالجميع. فالحق لا يمكن ضمانه فقط عبر الآليات الحقوقية والقانونية، إنما ينبغي له توافر مجموعة من القيم الأخلاقية لدى المجتمع بعناصره وأفراده للدخول حيّز الاعتراف والتعامل الأخلاقي بصورة تضمن الاعتناء بالذات وبالآخر على صورة موحدة تجمع بين الحقوق والواجبات، ولا تفرق بينها الانتماءات والخلفيات، وهو ما يتولد عنه دور اجتماعي يتركز على العناية الأخلاقية المتبادلة بين الجميع.

"انطلاقا من هذا، أصبح النسق القانوني معبّرا عن المصالح التي تكتسي طابعا كونيّا لكل أعضاء المجتمع، بحيث لم يعد يقبل ود أي استثناء أو تفضيل ما. كما لم يعد يقبل شركاء التفاعل إتباع المعايير القانونية إلا إذا اتفقوا وقبلوا بها باعتبارهم أحرارا ومتساوين، بحيث يخضعون كلهم للقانون، ومن ثم يعترفون ببعضهم البعض كأشخاص قادرين على إصدار حكم عقلي مستقل على معايير أخلاقية"(بومنير، 2015، صفحة 57)، والحال أن القانون الذي تطوّر وفقا متطلبات الاعتراف واحتوى على مبدأ الحق كشكل أساسي في إطار منظومة أخلاقية موحدة، أصبح ضامنا للحقوق العامة والخاصة، بما أنه يؤدي دوره كحكم بين جميع الذوات دون اعتبار للأحكام المسبقة المتعلقة بأي صورة من صور الصراع، وهو ما يحقق أخلاقا كونية تدعو بدورها للاعتناء بكل عناصر المجتمع.

من الواضح أن هونيث يهاجم مخلفات المركزية والسيطرة ونظريات القوة والعدمية، من خلال إحياء مشروع الحركة الاجتماعية، غير أن هذه الأنظار والمفاهيم التي عرضها تبقى رهينة أداء مجتمعات لا تزال تعاني من إرهاصات الحروب والأفكار الصدامية، فتحقيق منظور هونيث يحتاج فعلا لثقافة جديدة من التكافل والاعتراف على كافة مستويات

العيش المشترك، وهو ما يبدو معقدا وصعبا للغاية في عالم اليوم، إلا أن إسهام فكرة التضامن على مستوى الرعاية قد تفي بالغرض بما أن المبدأ الأول الذي تقومي عليه هو ذلك المبنى الأخلاقي التكافلي بين الذوات في المجتمع الواحد.

**ثانيا: أخلاق العناية مقاربة فرجينيا هيلد.**

اهتمت فلسفة الأخلاق المعاصرة بمحاولة تفعيل النظريات التطبيقية على الفعل الإنساني، وعدم الاكتفاء بالخطاب الأخلاقي النظري، فكان لنظريات الأخلاق المعاصرة مجموعة من التأصيلات المفاهيمية الجديدة والدعوة إلى تطبيقيات راهنية تتكيف مع حالة إنسان الآن.

حيث سنحاول في هذا البحث التعريج عن مفهوم العناية الأخلاقية عند فيرجينيا هيلد؛- واحدة من أهم المؤسسين لهذا المفهوم من خلال أبحاثها التي سعت فيها أن تحدد بالتفصيل أهمية العناية وعلاقاتها الممتدة في مختلف المجالات.

**1.مفهوم العناية.**

من حيث المعنى الإصطلاحي الذي قدمه البعض بـ "الرعاية"، وآخرون بـ "الرعاية" فإنه لا يحمل اختلافا ضمنيا بما أن المفهوم الأخلاق متعلق في النهاية بالممارسات في حد ذاتها وليس بالنظرية الأخلاقية المثالية.

حيث ترى فرجينا هيلد أن أخلاق العناية؛- هي تلك العلاقات المتشابكة لأفراد مترابطون بالضرورة ويعتمدون على بعضهم أخلاقيا وابستيمولوجيا، ويبقى هذا الاعتماد أساسيا طوال الحياة (Held, The Ethics of Care,personal, political, and global, 2006, p. 76)، فعلى هذا النحو استلزمت الحياة الليبرالية للمجتمع استحداث المنظور الأخلاقي العملي وليس ذلك النظري الذي كان يبحث عن الفضيلة بعيدا عن ملامسة المجتمع، والذي كان يعتقد أن الأخلاق ممكنة دائما في الابتعاد عن الواقع، بل إن هيلد تعيد ضرورة ممارسة الأخلاق ضمن نطاق حاجة الأفراد لذلك.

والحال أن أخلاق العناية حسب هيلد لا تخضع ضمنيا إلى التنصيص القانوني والحقوقي بل هي شكل من التعاون الأخلاقي الذي يستمده الفرد فطريا من العائلة الصغيرة ثم يمتد به إلى نطاق اجتماعي أوسع "لا تشترك جميع النسويات في الرأي القائل بأن هناك شيء مثل "أخلاقيات الرعاية" المنفصلة والمختلفة، ولكن الكثيرين يشعرون بالثقة بأن هناك موقفا وأن أيا كان الموقف الذي نتخذه بشأن العدالة في الموقف، فإنه يمكن استبداله بالرعاية أو أنه لا يمكن – أن يكون أي أخلاق كافية. يجب أن يُتَضمن كعنصر قوي مع أنواع الاعتبارات الأخلاقية التي يتم تحديدها على أنها تنتمي إلى أخلاق الرعاية" .(Held, justice and care(Essential Reddinges in feminist,lst pub), 1995, p. 3) والحال أن هيلد اعتمدت الدخول إلى أخلاق الرعاية من باب الاهتمام بالتيار النسوي(Feminist)، في أوائل أبحاثها وركزت عليه كثيرا، ثم وسعت هذا الاهتمام للأفراد عموما في عملها المضمر أخلاق الرعاية كنظرية أخلاقية.

فضلا عن هذا فإن فيرجينيا هيلد لا تعتبر أن أخلاق الرعاية تستلزم بعدا روحيا دينيا أو هي امتداد آخر له، ولا هي نظرية أخلاقية من العهد الحديث الذي كان يجرد مبحث الأخلاق عن الواقع، بل أن أخلاق العناية هي ممارسة أخلاقية نابعة من ضرورة تواجد مجموعة العلاقات التي يشترك فيها أفراد مختلفون، وهي بحاجة إلى أن تتميز بمفهومها الجديد "تختلف أخلاقيات الرعاية عن هذه النظريات في افتراضاتها وأهدافها وأساليبها. إنه أقرب إلى أخلاقيات الفضيلة، التي تمتعت بإحياء حديث، ويعتقد أحيانا أنها نوع من أخلاقيات الفضيلة (...) لكن أخلاقيات الرعاية تختلف بما فيه الكفاية عن أخلاقيات الفضيلة وكذلك النظريات الأخرى التي يمكن اعتبارها، في رأيي، كنوع جديد ومتميز من النظرية الأخلاقية (عقد، قادم). بالطبع لديها سلائف، لكنها مبنية على أسس مختلفة وتطورت بطرق مميزة" (Held, Care and justice in the global context, 2004, p. 143).

ف فيرجينيا هيلد تحاول تحديد مفهوم أخلاق العناية دون الارتكاز للضوابط القانونية ولا للنظريات الأخلاقية أو الدعوة الدينية، بينما تحاول إيجاد مفهوم واقعيّ ينطلق تحديده من أصل مجموعة العلاقات التي تربط الأفراد وتجعل الممارسة الأخلاقية بينهم ضرورية في شكل حاجة واستلزام ملح.

**2. العدالة والنسويّة والعناية.**

تتساءل فيرجينيا هيلد حول مدى فاعلية النظريات الأخلاقية الممتدة من كانط إلى الثلث الأول من القرن العشرين، وحتّى في النظريات الأخلاقية اليونانية، حيث لم تحتف هذه النظريات بالمرأة ككائن متساو مع الرجل بل انتقصت من مفهوميته، وبالتالي فلن تتحقق العناية، والركيزة الفكرية حسبها تبدو على شاكلة اللاعدالة من الأول؛ "وقد أثر هذا بالطبع بشكل أساسي على تاريخ الفلسفة والأخلاق. الانقسام بين العقل والعاطفة هو واحد من أكثر المفاهيم الفلسفية شيوعا. والدعوة إلى العقل "المسيطر" على العاطفة الجامحة، والعقلانية التي توجه العمل البشري المسؤول ضد عمى العاطفة، لها تاريخ طويل ومؤثر للغاية، يكاد يكون مألوفا لغير الفلاسفة كما هو الحال بالنسبة للفلاسفة. من المؤكد أننا يجب أن نكون الآن متيقظين للطرق التي ارتبط بها العقل بمسعى الذكور، والعاطفة مع ضعف الإناث، والطرق التي لا يكون فيها هذا بالطبع ارتباطا عرضيا." (Held, Feminist Transformation of moral theory, philosophy and phinomenological research, 1990, p. 322) فمسألة التصنيف البدئي تثير لدى فيرجينيا هيلد مجموعة من الاعتراضات والمساءلات الإنسانية حول مدى صدقيّة هذه التراتبية التي أعلت من فردانية الرجل ومنحته صفة العقل، وحطت من أنثوية المرأة ووصفتها بالعاطفة الجياشة.

وتستطرد هيلد عملية إدراك النسويّة لفكرة العدالة المنتشرة بين الكائنات، حيث تصفها إلى حد ما بالقدرة على النظر لمختلف الكائنات بعناية مشددة وبدون ميولات عاطفية كما وصفتها النظريات الأخلاقية السابقة؛ وبالتالي فإن

التصورات القانونية والحقوقية لا يجب أن تغفل الصفات التقديرية للنسويّة وتقدم نقدا لاذعا لمدى مراعاة الجوانب الحقوقية للمرأة في إطار ما يعتبر قوانين تنظيم المجتمع المعاصر؛ "ويمكن تفسير أخلاقيات الحقوق والعدالة على أنها تعميمات على كامل الأخلاق والتقييم الاجتماعي لطرق التفكير التي وضعت في سياقات القانون والسياسة العامة. مثل هذه التوسعات في النهج القانونية. فيجب أن تقاوم من قبل النسويات. وطرق التفكير هذه غير مناسبة للعديد من السياقات، وينبغي تغيير العديد من السياقات التي يعتقد الآن أن أفضل طريقة للتعامل معها من خلال العدالة والحقوق ينبغي أن تستخدم بحيث يمكن استخدام نهج الرعاية وينظر إليه على أنه أكثر ملاءمة." (Held, The Ethics of Care,personal, political, and global, 2006, p. 68)، وبالتالي فإن الرعاية هي النظرة الأخلاقية الحقيقية التي يجب وافرها داخل مجتمع التقدير بالآخر بما لا يكون القانون الوضعي عائقا أمامها ولا حتّى هدفا يتم تحقيقه، إذ هي مجموعة سلوكات ضرورية تكتسي قيمها من العدالة الفطرية الطبيعية للمجتمع.

فالعناية والعدالة سبيلين مختلفين، على نحو أن العناية هي روابط عاطفية وحميمية متعلقة بالحب والتضامن وتبادل المشاعر، بينما تكون العدالة ذلك النمط العقلاني الذي يعتمد على المبادئ التجريدية للحقوق العامة والخاصة. وهنا نقع محل تساؤل جديد: من الذي ينبغي أن يتم تسبيقه العدالة أم العناية؟ وهل يمكن اعتمادهما كممارسة واحدية؟

تعتقد هيلد دائما أن العدالة مستمدة من النظريات الأخلاقية العقلانية، وخاصة الأبحاث المقدمة حول كانط ومدى تأثر الأوربيّن بها، بينما تنظر لأخلاق العناية على أنها تجاوز لهذا المنظور الذي كان يلغي سابقا أصلا دور المرأة بوصفها كائنا غير مكتمل العقلانية.

وقد يُنظر إلى أخلاق العناية على أنها مجرد تبرير للفكر النسوي، لكن هيلد تقترحها من حيث أن النسويّة بدورها ستساهم في تطوير مستوى ومسؤولية العناية بالآخر داخل المجتمع ما تم إحاطتها بذلك الاهتمام البالغ. فالعناية تفوق العدالة في أنها يجب أن تلقي بالنظر للمرأة وأن تلغي مضامين النظريات السابقة للعدالة، واعتبار العناية كمفهوم جديد متقدم عن العدالة، إذ أن هذا الأخير لم يكن متكامل نظريا وتطبيقيا.

**ثالثا: نتائج الدراسة.**

عناصر التماثل التي نستلهمها من المقارنة بين آكسل هونيث وفيرجينيا هيلد؛ هي أن كلاهما تناول الشق القانوني الحقوقي كركيزة لبناء منظومة أخلاقية، يحافظ فيها الفرد على توازنه داخل المجتمع، ومبرر هذا، أن القوانين الانفعالية التي كانت سائدة سابقا وما حدث من تصدعات وحروب وصراعات أفضى ببشاعة كبيرة إلى ميولات قانونية لصالح الجنس والعرق والدين والخلفية الأيديولوجية، ولإعادة بناء أخلاق المجتمع الواحد، التي يمكن لها أن تكون كونية الأبعاد، هو بالأساس بناء منظومة حقوقية قانونية يتساوى فيها جميع عناصر المجتمع، لتحقيق أخلاق العناية بالآخر من منطلق الحق والعدالة.

أنهما يشكلان محاولة تجاوز للنظريات الأخلاقية السابقة التي اعتمدت على الدين، العقل، القوة..، بشكل نظري مطلق، وحاد في بعض الأحيان، في حين أن دعوتيهما تتمثل في بنائية رابطة أخلاقية تخضع لها كل العناصر بالتساوي من حيث المبدأ والفعل، فهي أخلاق واقعية معنوية تتيح مشاركة الجميع في إبداء النقد عليها والتحسين من أدائها داخل المجتمع، فهي غير خاضعة فقط للتوّسل القانوني المحض، إنما تسعى إلى أن تكون لها روح مجتمع يتقاسم نفس الاهتمامات ويطمح إلى النظر برؤى متوازنة لمستقبل تلتقي فيه جميع المشارب بصور قبول لا بصورة نديّة.

يشير آكسل هونيث إلى مبدأ التضامن، وتشير فيرجينيا هيلد إلى مبدأ العناية، وهذين المفهومين لابد أنهما يلتقيان في حقل الفهم العاطفي والحميمي للروابط الاجتماعية، أو هو الدعوة إلى روح اجتماعية، فما يحافظ على التناسق بين عناصر المجتمع العادي أو حتّى الكونيّ، هو ضرورة وجود روابط إضافية تنم عن الحب والحميمية والقبول والتضامن والمساهمة إلى الفعل الجيّد ونكران الفعل السيّء، إذن فهذين البحثين يلتقيان في ضرورة الانطلاق من قاعدة حقوقية صلبة والوصول إلى ذروة المجتمع الأخلاقي الذي يعتني فيه الأفراد بأنفسهم وغيرهم، بغض النظر عن كل ما يفرقهم من اختلافات.

يبدو أن كلا عمل الباحثين، ينطلق من إرادة عقلنة الأخلاق، أو الاعتماد على النظريات الأخلاقية العقلية، وإضافة نوع من الاستقلالية عليها، من حيث الممارسة والمبتغى، فإن نظرنا إلى التراكم الأخلاقي الفلسفي الحديث والمعاصر، نلتقي بسيطرة النظرية العقلية الكانطية عليه، وهو ما يبدو ملاحظا على عمل الباحثين، مع إبداء تلك اللمسة الجديدة التي تتماشى مع واقعية المجتمع المعاصر ومتطلباته الما-بعد حداثية.

والحال أن كلا من هونيث وهيلد، يدّشنان مناهضة صارخة للفلسفات الأخلاقية العدمية والوجودية والجنسانية والتطورية، التي أسهمت في رفع مستوى التدافع بين البشر، واعتبرتهم مجرد أعداد يمكن التضحية بهم، بالمقابل فعمل هونيث جاء ابتداء من الاستطلاعات النقدية الكبرى في ألمانيا لما بعد الحرب العالمية الثانية، وضرورة تحسين السلوك الأخلاقي للفرد وتقبّل الاختلاف داخل المجتمع، وهو الأمر ذاته الذي تنزل عنده هيلد بضرورة الاعتناء بالمرأة، بوصفها عنصرا جوهريا داخل المجتمع، فمنطلقها لا يعبّر فقط عن فلسفة نسويّة محضة، إنما يتعدى ذلك إلى استرداد مكانة المرأة داخل المجتمع باعتبارها عنصرا، ودفع صورة التشوّه التي لحقت بها إبان الصراعات الأوربية والعالمية الكبرى.

أما فيم يتعلق بما يمكن وصفه اختلافا؛ فهو يرجع لمجموعة من العوامل الأخرى التي تكتسي الفلسفتين، بما أن هونيث يتركز عمله ضمن نسق النظرية النقدية، فهو نوعا ما يبحث عن فلسفة اجتماعية خاصة بمجتمع ألمانيا ما بعد الحرب العالمية الثانية، والدمار الأخلاقي الذي حصل داخله إثر تصاعد صيت النظريات العدمية والوجودية وغيرها..، بينما نجد أن هيلد لها تأثر واضح بالتيار النسوي المعاصر الذي بدأ يعلو شيئا فشيئا داخل المجتمع الأمريكي الديمقراطي المعاصر.

وبينما يعتقد هونيث أن الحق يجب أن يكون عامّا وبالتساوي، فإن هيلد تعتقد أن عنصر المرأة بشكل خاص لا يزال يفقد لقيم العدالة في حقّه، وهنا نلحظ التمايز بين فلسفة أخلاقية نقدية تبحث عن تطبيقات شاملة، وبين فلسفة واقعية تعتمد على مبدأ المطالبة بتحسين الظروف الأخلاقية والعنائية بعنصر خاص.

**خاتمة.**

وإجمالا، سواء بحثنا في عمق الصلة بين الفلسفتين، أو التباين بينهما، فإن البحث الأخلاقي الذي اعتمداه يبدو مطلبا ملحا للمجتمع المعاصر الذي عاش محن كبرى من التوتر والاخلاف لاتزال علاماتها بادية، وقد لا ينجو هونيث وهيلد من موجبات النقد على المستوى النظري، وكذلك على المستوى الواقعي لمحاولتيهما. فعلى المستوى النظري تجديد إعلاء قيمة العقل المستقل وتجاوز كل ما يمكن أن يسهم في البحث الأخلاقي لا يبدو أمرا سديدا في تأسيس النظرية الأخلاقية. كما أن خلفية كلا الباحثين يجب أن تتعرض للمساءلة هي الأخرى، لطبيعة توجهات المجتمع المعاصر وانغماسه في فورة التيارات الما–بعد حداثية.

**قائمة المراجع والمصادر:**


- Held, V. (1990). Feminist Transformation of moral theory, philosophy and phinomenological research. new york: hunter college.
- Held, V. (1995). justice and care(Essential Reddinges in feminist,lst pub). USA: westview press.
- Held, V. (2004, june 2). Care and justice in the global context. ration juris, 17(2), pp. 55-141.
- Held, V. (2006). The Ethics of Care,personal, political, and global.New York: university press.
- Honneth, A. (1996). reconaissance dictionnaire d'éthique et de la philosophie morale. (puf, Éd.) paris.
- Honneth, A. (2002). La lutte pour la reconnaissance. paris: les édition du cerf.
- كمال بومنير. (2015). أكسل هونيث فيلسوف الاعتراف (الإصدار 1). بيروت: منتدى المعارف.